العرب
الإثنين 2020/03/30
السنة 42 العدد 11662

صحوة دولية متأخرة لمواجهة وباء يفتك بالجميع

من أفريقيا إلى أميركا اللاتينية كورونا يضع الدول الفقيرة على حافة الهاوية

الموت يحاصر العالم

لم يستثن تفشي فايروس كورونا أي دولة في العالم مهما كانت قوتها وعتادها، فحتى الولايات المتحدة التي تعاملت وفق الخبراء بنوع من الاستخفاف بخطورة الوضع والأنانية في بادئ الأمر على قاعدة "أميركا أولا" نخرها الوباء بطريقة متسارعة. وفي ظل كل هذه التطورات المهددة لأمن الجميع بلا استثناء ذهبت القوى العظمى كالصين والولايات المتحدة إلى توظيف الكارثة سياسيا بعدما انتهى اجتماع مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى دون صدور بيان مشترك في وقت حاصر فيه الوباء الدول الفقيرة في أفريقيا وأميركا اللاتينية والشرق الأوسط.

واشنطن – أدخل فايروس كورونا منذ نهاية العام الماضي حالة من الرعب وأخرى من الارتباك في جميع الدول بلا استثناء وخاصة في أعلى مستويات مراكز القرار السياسي والأمني والبحثي في كافة الدول للوقوف عند تداعيات الوباء لا فقط في المجال الطبي بل أيضا السياسية والاقتصادية التي قد يتولد عنها مشهد جديد يكسر مع منظومة حكمت العالم طيلة عقود وقادتها الولايات المتحدة.

لكن وعلى الرغم من إجماع الخبراء على أن هذه الكارثة الصحية التي تهدد حياة البشرية تتطلب تضافر كافة الجهود الدولية لمقاومتها وحصرها قبل القضاء عليه باكتشاف أدوية للعلاج، فإن الدول العظمى وفي مقدمتها الولايات المتحدة والصين أخذت تتفاعل مع الوباء على أنه ورقة سياسية يمكن توظيفها في المعارك الثنائية بين بكين وواشنطن.

شي جين بينغ

التعاون الدولي هو الأمثل والوحيد الصائب

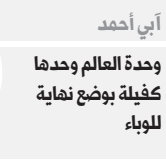

آبي أحمد

وحدة العالم وحدها كفيلة بوضع نهاية للوباء

وتعددت التحليلات التي تجاوزت ذوي الاختصاص من الأطباء والمختصين في علوم الأوبئة ليخوض في شأنه الكل بلا استثناء من محللين سياسيين ومنجمين ورجال دين، دون الاهتمام بما سيؤول إليه الوضع في البلدان الأكثر فقرا وغير القادرة على مجابهة وباء لم تقدر على حصره دول أوروبية كفرنسا وإيطاليا وبريطانيا.

ويطالب المراقبون والخبراء ضرورة أن تكون اللحظة الآنية فرصة لتماسك العالم ووحدته لأن ما سيفرضه فايروس كوفيد19- من المزيد من الخسائر البشرية والاقتصادية سيكون مصيرا مشتركا للبشرية جمعاء دون تفريق بين قوى الغرب وقوى الشرق.

وفي إصدار الأسبوع قبل الماضي من دورية "نقاط تحول" الصادرة عن وكالة "بلومبرج" للأنباء، حذر المحلل الأميركي أندرو براون من أن ثورة الاتصالات والمواصلات التي جعلت العالم شديد التشابك والترابط، لا يمكن أن تجعله آمنا صحيا أو مناخيا أو حتى اقتصاديا أو ماليا دون التعاون الوثيق بين أكبر اقتصادين فيه، وهما الاقتصاد الأميركي والاقتصاد الصيني.

تواصل الصراع

قبل أيام أقر زعيما الصين والولايات المتحدة بهذه الحقيقة علنا على خلفية اجتياح فايروس كورونا المستجد (كوفيد19-) للعالم، حيث قال الرئيس الأميركي دونالد ترامب "شهدت الصين الكثير (في مواجهة كورونا) وطورت فهما قويا للفايروس. ونحن نعمل معا بشكل وثيق".

وعقب اتصال هاتفي مع نظيره الصيني شي جين بينج، غرد ترامب على موقع التواصل الاجتماعي تويتر، الجمعة، "عظيم الاحترام" للصين، في حين قال شي "سيستفيد الجانبان إذا تعاونا، وسيخسران إذا حارب كل منا الآخر"، بحسب ما أوردته وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا)، مضيفا "التعاون هو الخيار الوحيد الصائب".

وبحسب وكالة بلومبرج للأنباء، أصبحت التداعيات القاتلة المحتملة لأي صراع ينشب بين الصين والولايات المتحدة أمرا جليا، الأسبوع الماضي، عندما انتهى اجتماع لمجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى كان يهدف للتنسيق بشأن تحرك عالمي في مواجهة كارثة كورونا، دون صدور بيان مشترك.

وجاء الفشل في إصدار بيان مشترك نتيجة إصرار وزير خارجية الولايات المتحدة مايك بومبيو على وصف وباء كورونا المستجد في البيان باسم "فايروس ووهان"، نسبة إلى مدينة ووهان الصينية التي ظهر فيها الفايروس وانتشر منها، وهو ما يتعارض مع قواعد منظمة الصحة العالمية المنظمة لتسمية الفايروسات والأمراض، بما يتجنب إلصاق اسم مرض أو فايروس بمنطقة جغرافية أو جماعة عرقية أو دينية بعينها. وكان ترامب نفسه تعرض لموجة انتقادات حادة وتم اتهامه بالعنصرية عندما استخدم مصطلح "الفايروس الصيني" في الإشارة إلى فايروس كورونا المستجد.

ويرى المحلل الأميركي أندرو براون أن اللحظة الحالية التي يمر بها العالم تستوجب تحركا عالميا مركزا ومنسقا، بدلا من المواقف السياسية، وذلك في الوقت الذي يتجه فيه فايروس كورونا صوب الدول الأقل قدرة على مواجهته.

وقد حشدت الصين إمكانيات هائلة لاحتواء الوباء، ولدى الدول الغنية أنظمة رعاية صحية متقدمة وشبكات ضمان اجتماعي واسعة يمكنها التخفيف من وطأة الكارثة على شعوبها. لكن الاقتصادات الضعيفة والمتعثرة في أفريقيا وأميركا اللاتينية والشرق الأوسط تفتقر المؤسسات القوية والقدرات الطبية، وهي تترقب وصول الجائحة إليها.

وقد تحول انتشار كورونا في إيران إلى كارثة، ثم انتقل الفايروس مع المسافرين من الجمهورية الإسلامية إلى سوريا والعراق ولبنان، وهي الدول التي تعج باللاجئين الذين يمكن أن يصبحوا فريسة سهلة للفايروس.

معاناة الدول الفقيرة

أما جون بي ألترمان، الباحث بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، فيقول إن مصر تواجه خطرا كبيرا ولا يبدو أن الناس تدرك ذلك، في ظل استمرار الزحام في العديد من الأماكن، مثل المقاهي والمساجد والكنائس والمطاعم، ولكن ذلك كان قبل أن تقرر السلطات المصرية بالفعل إغلاق المقاهي والنوادي والمطاعم وقاعات الأفراح، كما قررت وزارة الأوقاف المصرية منع صلاة الجمعة وصلوات الجماعة في المساجد، وكذلك قررت الكنائس منع إقامة القداسات والصلوات، في إطار إجراءات الحدّ من انتشار الفايروس.

وكتب رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد يقول إن الاقتصادات الأفريقية على حافة الهاوية، وبدأ بالحديث عن بلاده، مضيفا أنه دون العملة الصعبة التي توفرها شركة الخطوط الجوية الإثيوبية، لن تستطيع البلاد توفير المستلزمات الطبية الأساسية.

ويتساءل رئيس الوزراء الإثيوبي "كيف يفترض أن يغسل الإثيوبيون أيديهم للحد من انتشار كورونا إذا لم تكن لديهم المياه النظيفة في منازلهم؟".

ومن أفريقيا إلى أميركا اللاتينية، حيث تأتي البرازيل التي تواجه شبح انفجار عدوى كورونا المستجد في الأحياء الفقيرة، بعد أن كان الرئيس البرازيلي جاير بولسونارو الفايروس في البداية بأنه "محض خيال".

ويقول روبرت موجاه، مدير الأبحاث بمعهد إيجارابي للدراسات في مدينة ريودي جانيرو البرازيلية إن الأحياء الفقيرة في البرازيل "قنبلة موقوتة" في ما يتعلق بأزمة كورونا.

وشرح مارك ليبستش، أستاذ علم الأوبئة بجامعة هارفارد الأميركية، الطبيعة العالمية لخطر كورونا، بالقول "مثل حريق الغابات، تكثيف إجراءات السيطرة عليه في مكان واحد يفشل إذا كانت هناك شرارات في أماكن أخرى.. والآن هناك وابل من الشرر يتساقط".

وكتب آبي أحمد يقول "نحن في مواجهة هذه الأزمة معا.. انتصار العالم كله هو وحده الكفيل بوضع نهاية للوباء".

ومنذ تفشي الوباء حذرت منظمة الصحة العالمية من تأثيراته الكبيرة المرتقبة في الدول الفقيرة خاصة في القارة الأفريقية، مؤكدة أن انتشار الوباء في أفريقيا قد يكون وبالا على الدول وشعوبها عموما، وعلى الأنظمة الصحية بشكل خاص، ومن ثم على اقتصادياتها، وتحديدا في الدول الأشد فقرا في القارة.

ودعا، الأسبوع الماضي، ميشال ياو، مسؤول العمليات الاستعجالية في أفريقيا لدى منظمة الصحة العالمية إلى "فتح ممر إنساني لتسهيل إيصال المعدات الطبية والأدوية الضرورية لمكافحة فايروس كورونا، مثل آلات التنفس الاصطناعي".

وأكد أن "تقديم الرعاية الصحية للمصابين بفايروس كورونا المستجد، ترتكز أساسا على الإنعاش التنفسي. لذا سنواجه دون شك مشكلا حادا في نقص المعدات التي تساعد على التنفس. بعض الأرقام تشير إلى أن مدنا أفريقية كبيرة لا تمتلك سوى 50 آلة للتنفس. ففي حال ارتفاع العدوى، كما هو الحال في الغرب، فسنواجه دون شك مشاكل جمة في تقديم الإسعافات الصحية للمصابين".

وأنهى بنوع من التفاؤل "إذا ثبت أن مادتي الكلوروكين والنفاكين تشفيان المصابين بفايروس كورونا، أو على الأقل تؤثران بشكل إيجابي على عافيتهم، فهذا سيفتح آمالا كبيرة في أفريقيا كون هاتين المادتين متوفرتان في الأسواق، ويجري استخدامهما منذ زمن بعيد في أفريقيا لمعالجة المرضى المصابين بحمى المستنقعات".

نظرية المؤامرة وجه شبه وحيد بين ترامب وأردوغان

إلهان تانير

أنقرة – عمد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، في تقييمه لأزمة تفشي فايروس كورونا، إلى مخاطبة الشعب الأميركي، لساعات طويلة، على شاشات التلفاز، بشكل يومي؛ تلبية لحاجة المواطن الأميركي الشديدة لفهم ما حلّ به، بدا الأمر، وكأنه يقدّم له "عظة يومية".

تغيّر أسلوب ترامب في تعامله مع الأزمة؛ فبعد أن كان يقلّل، في البداية، من قدرة الفايروس على التأثير في الولايات المتحدة، تحوّل، بشكل تدريجي، إلى النقيض تماماً خلال الأيام الأخيرة، لدرجة أنه بدأ يصف نفسه بأنه "رئيس زمن الحرب"؛ لذلك لم نعد نراه يتوقف يوما، بسبب حالة الطوارئ التي تعيشها البلاد، عن الظهور على شاشات التلفاز، والتحدث لساعات إلى الشعب الأميركي، يجيب خلالها عن التساؤلات، التي تدور في أذهان الأميركيين، في ما يتعلق بالاقتصاد، وبالكثير من الموضوعات الملحة الأخرى المرتبطة بالأزمة.

وعلى الرغم من التحذيرات، التي أطلقتها الأجهزة الاستخباراتية الأميركية قبل أسابيع، إلا أن الرئيس الأميركي، ومعه الجانب الأكبر من أعضاء إدارته، كانوا يظهرون على شاشات التلفاز، ويقللون من قدرة الفايروس على الانتشار بين أبناء الشعب الأميركي.

كان ظهور ترامب في كل يوم تقريبا بعد ذلك، وخاصة في الأيام العشرة الأخيرة، ومخاطبة الشعب الأميركي في أوقات الذروة، كان السبب في تأييد ما لا يقل عن 55 في المئة من الشعب الأميركي لأسلوب إدارته في التصدي لفايروس كورونا.

وإن كان من غير الواضح الآن إلى متى ستستمر هذه الأزمة، إلا أن المؤكد هو أن مخاطبة ترامب الشعب الأميركي لساعات بشكل يومي، سيُنحي المرشح الديمقراطي جو بايدن جانباً لفترة من الوقت. وبدلا من خوض معركة الانتخابات التمهيدية، التي قد تستغرق شهورا، بدأ بايدن، من الآن، في السعي وراء الترشح لمنصب نائب الرئيس، أو بعبارة أخرى، يمكن أن يتابع بايدن، من بعيد، أسلوب ترامب في إدارة أزمة فايروس كورونا، حتى يفيد من ذلك في تحسين صورته أمام الرأي العام الأميركي في الجولة الأخيرة من حملته الانتخابية.

إلى جانب هذا، سمح ترامب، بنزول قوات "الحرس الوطني" إلى الشوارع في ثلاث ولايات في الولايات المتحدة. ويُنظر إلى الحرس الوطني، الذي نزل في شوارع ولايات كاليفورنيا ونيويورك وواشنطن، باعتباره حلقة الوصل، التي ستعمل على رأب أيّ صدع قد ينجم عن حدوث خلل في عملية التوريد، وتأمين الاحتياجات في هذه الولايات. وعلى الرغم من أنه لم يعلن صراحة مهمة الحرس الوطني، إلا أنه بإمكانه التدخل أيضا حال حدوث أي احتجاجات محتملة، واحتواء الوضع هناك.

من ناحية أخرى، دشّنت وزارة الدفاع الأميركية كذلك موقعا جديدا لمحاربة نظريات المؤامرة، والتصدّي لحرب الشائعات، التي بدأت بالفعل تظهر عقب نزول أفراد الحرس الوطني في مدن هذه الولايات، كما أنشأت الوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ في الولايات المتحدة (فيما) بدورها قسما خاصا لمكافحة نظريات المؤامرة وترويج الإشاعات.

لا شك أن التلاقي الوحيد بين أسلوب الرئيس الأميركي والرئيس التركي رجب طيب أردوغان هو إيمان الرجلين بنظرية المؤامرة. وقد ظهر هذا في دعوة المتحدث باسم أردوغان فخرالدين ألتون أيضا إلى محاربة نظريات المؤامرة. رأينا هذه الحكومة، التي ربطت أي تطور يحدث على الساحة الداخلية والخارجية معا، منذ عام 2013 على وجه الخصوص، بفكرة المؤامرة، رأيناها وهي تشتكي من مؤامرة فرانكشتاين، التي نسجها خيالها في مثل هذه الفترة الاستثنائية.

أما عن أسلوب تعامل كلا من ترامب وأردوغان مع أزمة تفشّي فايروس كورونا، فالواضح أنّ هناك تباينا تاما بين الاثنين؛ ففي الوقت الذي اختار فيه ترامب، كما أوضحتُ قبل قليل، أن يستغل المنصة الوطنية الممنوحة إليه على الوجه الأمثل، ارتضى أردوغان لنفسه أن يبقى على وضعه الصامت منذ اندلاع الأزمة، ولم يختلف وضع المتحدثين باسم الحكومة التركية، الذين كانوا يدلون في السابق بأكثر من تصريح خلال اليوم الواحد، عن أردوغان، فكلاهما يلوذ بالصمت الآن.

شارك أردوغان برسالة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي؛ عبَّر فيها عن مخاوفه، من داخل غرفته، التي صارت "ملجأ" لا يغادره. وبدلا من أن يعطي للأمر أهميته، ويعقد مؤتمرا صحافيا يوميا؛ يخاطب فيه شعبه، أسوة بترامب، التزم الصمت، ولم يتحدث إلى الآن.

> بينما اختار ترامب استغلال كورونا داخليا على الوجه الأمثل، ارتضى أردوغان لنفسه أن يبقى على وضعه الصامت منذ اندلاع الأزمة

وبخلاف المؤتمر الصحافي، الذي يعقده وزير الصحة فخرالدين قوجه كل ثلاثة أو خمسة أيام، وبعض الرسائل المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي، التي تعلن أعداد الوفيات والمصابين، والتي يكتنف كلماتها الغموض، وتفتقر، في الكثير منها، إلى المكاشفة، بشكل كبير، لم نسمع شخصا آخر في حكومة أردوغان يتحدث في هذا الأمر، ولم نسمع ردودا أو تعليقات أخرى منهم.

على الجهة الأخرى، كان أعضاء اللجنة العلمية، التي شكّلها أردوغان، يتسارعون من أجل الظهور على شاشات القنوات المختلفة للإجابة عن التساؤلات المطروحة بهذا الصدد. ومع هذا، فإن الوعود، التي قطعها هؤلاء الأشخاص على أنفسهم، والأخطاء التي اعترفوا بوقوع الحكومة فيها، أثناء تعاملها مع الأزمة، تظل غير مقيّدة لرئاسة الجمهورية، بأيّ حال من الأحوال؛ أي أن الأمر لا يتعدّى مجرد كلمات تُقال فقط.

تحدث وزير الصحة قبل عشرة أيام عن أداء الحكومة، ومدى تأثير القرارات، التي اتخذتها في منع تفشي الفايروس في تركيا. أما الآن، فلا يخفى على أحد أن الفايروس قد تفشى بالفعل بين 81 مدينة تركية، فأين هي هذه التدابير التي تحدثوا عنها؟

للأسف، عجز الجميع عن الحصول على تفاصيل كافية لما يحدث بشكل جعل تركيا، ربما البلد الوحيد في العالم، الذي يحجب المعلومات الحقيقية عن حقيقة الوضع، وحجم الإصابات والمدن الموبوءة. وهذا يعني أن المجتمع التركي صار يعيش في ظلام دامس لا يعرف حقيقة ما يدور داخله. في حين ومن ناحية أخرى يكتفي أعضاء الحكومة بتوجيه النصح للمواطنين من داخل مخابئهم.

تشابه تخنقه كورونا